سؤال في التأصيل

يجيب عليه د. سعد أبو الرضا

هل لأدب الطفل.. استراتيجية؟

لعلّ من أبرز تجليات الفلسفة الاستقبالية للأنظمة والمنظومات الحديثة التي تبنت هذا الطرح، هو اهتمامها بالموارد الثقافية والاقتصادية والبشرية..

كمنطلقات أساسية لمحاورة الواقع، وربطه بالمستقبل، ومادام الموردان السابقان: الثقافة والاقتصاد.. تبعاً للمورد الأساسي، وهو: المورد البشري، قضت الضرورة بتنصيبه على رأس هذه الاهتمامات.. فكانت العناية بالطفل من أبرز سمات القرن العشرين. حيث برزت حقوق الطفل، وأدب الطفل، واليوم العالمي للطفولة.. كما تزايد الاهتمام أكثر بصحة الطفل وثقافته.. وهذه النظرة الإيجابية للطّفل، جاءت نتاج وعي يقيني، ومسلم به، بمدى أهمية موضوع الطفل وخطورته في آن، انطلاقاً من النظرية العلمية القائلة: بأن صحة النتائج من صحة المقدمات.

وهكذا عرف أدب الطفل فجراً جديداً، لم يعهده من قبل إلا اللمم. إلا أننا نلاحظ بأن هذا الفجر مازال يتثاءب في كسل، ولم يحن طلوعه بعد على طفولتنا العربية والإسلامية. بالمفهوم التربوي. نعم.. لكن بالمفهوم الفني مازال متعثرا وحشوماً.. ولذلك نشفق ـ نحن أيضاً ـ مع، د. شكري عياد ـ على الملايين من أطفالنا لأنهم لا يجدون إلا القليل من الأعمال التربوية. ولا يكادون يجدون شيئاً على الإطلاق من الأعمال الفنية. وهذا ما حدا بنا ـ طبعا ـ إلى مساءلة **الدكتور: سعد أبو الرضا** بصفته أحد المهتمين بأدب الطفل وقضاياه، ولعل كتابه الأخير: «**النص الأدبي للطفل**» انطلاقا من رؤية إسلامية. خير دليل على هذا الهم والاهتمام الذي يحمله. فكان سؤالنا له كالتالي:

■■ ألا ترون بأننا في حاجة ماسّة إلى استراتيجية مدققة وإلى نظرة مستقبلية لبناء الأمة وخدمة هذا الدين.. وهذه الاستراتيجية ـ كما تعلمون ـ لن تتم إلا بالاهتمام بأدب الطفل، كمادة خام لمستقبل بديل.. **فهل هناك استراتيجية يا ترى.. وما حظ الطفل من هذا الأدب؟؟**

●● **أجاب على السؤال د. سعد أبو الرضا فقال:**

إن دينا له أتباعه ومريدوه في كثير من بقاع المعمورة، محفوظ كتابه لأكثر من خمسة عشر قرناً. وما يزال إلى ماشاء الله، ويتفنن أعداؤه في محاولة النيل منه، دون جدوى، لهو دين عالمي.

وإن دينا يوازن بين مطالب الدنيا والآخرة، وبناء الروح والجسد، ويحقق الخير لمن يحسن فهمه، ويتمسك به لهو دين عالمي،

وإن دينا يرعى بقيمه ومبادئه الإنسان في كل أحواله وتطوراته، وينظم له حياته تنظيماً بحيث يجعله فاعلاً في بنائها ونهضتها ومختلف علاقاتها، لهو دين عالمي،

وإن دينا يهتم بالإنسان من قبل أن يرى النور في هذه الدنيا ويهتم به خلالها، ويضمن له العدل والسعادة بعد رحيله عنها، إن هو استقام على الطريق السوي لهو دين عالمي،

ذلك هو ديننا الإسلامي، فتبارك الله أحسن الخالقين.

■■ *بعض ملامح أدب الطفل، وكيف يسهم فيما سبق؟*

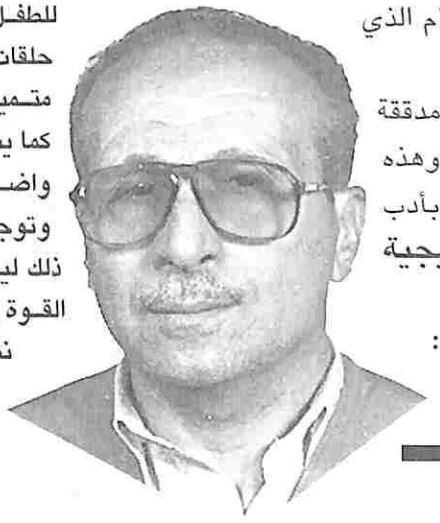

للطفل ـ وهو أول حلقة من حلقات حياة الإنسان ـ مكانة متميزة في رؤية هذا الدين، كما يشغل الاهتمام به مساحة واضحة في مبادئه وتوجيهاته، وحبذا لو جسدنا ذلك ليخرج هذا الأمل من حيز القوة إلى مجال الفعل، حتى نضمن نشأة أجيال سوية قادرة على تحمل مسؤولية بناء أوطانها

حاوره: المداني عدادي

وأمتها.

ولاشك أن ثقافة الطفل دعامة أساسية في تكوين هذه الأجيال، فإذا صلحت استقامت حياتهم، وحققت الغايات المنوطة بها، ولن تصلح هذه الثقافة إلا إذا اعتمدت على أساس متين من الدين الإسلامي في كل ما يقدم لهذا الطفل، لتتحقق النشأة الصالحة التي نرغب فيها ونرجوها لتلك الأجيال إن شاء الله، كما تؤدي دورها مستقبلاً في انتشار هذا الدين، والحفاظ عليه.

ولعل إشباع الاهتمامات العقدية في مراحل حياة الطفل الثلاثة، المبكرة والمتوسطة والمتأخرة تكون في مقدمة ما نحرص عليه في نشأة هذا الطفل، وهنا سوف نجد أدب الطفل بفنونه المختلفة مسرحية وقصة ومنظومة وغيرها من أهم الوسائل التي تشكل الوسائط التي من خلالها يتم تزويده بما نبتغيه له من عقائد وقيم تبنيه، وتسهم في نشأته نشأة صالحة، وتهيئة للرسالة المنوطة به مستقبلاً.

فعلاقته بالله سبحانه وتعالى يجب أن تقوم على الحب، والولاء والطاعة خاصة في بداية مرحلة الطفولة المتوسطة من (٦: ٩ سنوات) عندما يعلم أن خلق الله للإنسان ورعايته له، يقتضيه أن يتوجه له سبحانه وتعالى بالعبادة والشكر والطاعة، لقاء هذا الخلق، وتلك الرعاية، وهنا يمكن أن تنجح الأشكال الأدبية الخاصة بالطفل في دعم وتثبيت هذا التوجه، ولا نتجاوز الحب والولاء إلى شيء من الشدة إلا في نهاية هذه المرحلة وبداية مرحلة الطفولة المتأخرة، من (١٠: ١٢ سنة)، فحديث رسول الله ﷺ خير هاد هنا إلى السبيل القويم، وهو ينصح بتربيةً الأطفال لأداء الصلاة «مروهم بها لسبع وأضربوهم عليها لعشر» والضرب هنا توجيهي تعليمي تربوي، وليس قسوة أو شدة معوقة.

ويمكن أن نقيس على ذلك الشعائر والأخلاق التي يكون في استطاعة الطفل الامتثال لها، وأداؤها، كالصوم، والصدق، والإخلاص، والأمانة، خاصة إذا وجد من حوله القدوة الصالحة في البيت والمدرسة.

ويرتبط بذلك مواجهة مشكلات الطفل الحياتية التي يعايشها، كعلاقته بالآخرين بدءاً من والديه وأخواته، ثم مدرسته، ومجتمعه الكبير، حتى نصل إلى علاقته بأمته.

وإن مشروعاً تتبناه الأمة في هذا المجال اعتماداً على مثل الأسس السابقة لكفيل بتحقيق كثير من الغايات التي نبتغيها، على أن يكون الأدب الإسلامي للطفل بفنونه المختلفة الركيزة الثقافية لتجسيد خطوات وإجراءات هذا المشروع، فيجد من التمثيلية في المدرسة، والإذاعة المرئية والمسموعة ما يحقق له علاقة سوية بوالديه وأسرته ومدرسته ومجتمعه وأمته، بحيث يصبح فاعلا، فتناقش مثل هذه التمثيليات كثيراً من القيم التي تُثَبَّت في نفسه احترامه للكبير، وإخلاصه في عمله، وحبه لأمته، وتمسكه بدينه ولغته، وإن توظيف سيرة الرسول ﷺ وأخلاق صحابته رضوان الله عليهم وسلوك أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام في قصص يتناسب ومراحل سني أطفالنا، ليُثَبَّت في نفوسهم وعقولهم ووجداناتهم التمسك بالحق والثبات على المبدأ، والإخلاص في العمل، وما أحوجنا لهذه الصفات، وتلك الأخلاق في بناء أجيال تعتمد عليها الأمة لتحقيق ذاتها في عالم تعوزه مثل هذه الصفات، وتنقصه تلك الأخلاق لترقى روحه، ويستقيم بناؤه، حتى نحقق تصور القرآن الكريم، (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

ولعل في تاليف منظومات شعرية تحبب إليهم العمل وإتقانه، والنظام والالتزام به، وغير ذلك من القيم التي نحن في أمس الحاجة إليها لبناء مجتمعاتنا بناءا سوياً، ما يسهم في تشكيلهم كلبنات صالحة في أمة يمكن أن ترود العالم نحو الخير والحق والبناء، بفضل دينها وما يدعو إليه من قيم ومباديء.

من هنا فإن وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة مسموعة، ومرئية، خاصة فيما تقدمه الأخيرة من أفلام الكرتون والتمثيليات، وكذلك ما تقدمه الصحف والمجلات المختصة بالأطفال من مواد إعلامية تثقيفية وتوجيهية يجب أن يراعى فيها ما أشرنا إليه من أسس مقترحة.

وإن نظامنا التعليمي في مدارسنا وجامعاتنا لحري به أن يتغيا هذه الغايات، وأن يحرص المسؤولون عنه، على العمل على وضع المناهج والطرق واقتراح ورش العمل التي تسهم في تحقيق هذه الغايات لبناء الطفل المسلم الذي يمكن أن ننيط به ما نرجوه ونأمله في إيجاد الأمة الصالحة القوية التي ترعى ربها ودينها ولغتها.

وهكذا تتعاون الأجهزة الرسمية في الوزارات المختلفة والمؤسسات التي تختص بتربية وتنشئة الطفل، والأسرة، مع المبدعين الذين يكتبون للطفل، فتتشكل ثقافة سليمة صالحة، تسهم في تنشئة أجيال سوية قادرة على تحمل المسؤولية، وأداء دورها في ترقية أمتها، وسعادتها، وانتشار دين الله في كل مكان عندما يحملون مسؤولية ذلك، ويكونون قدوة فيما يؤمنون به، نسأل الله التوفيق والهداية، لنا ولكل من يهتم بأمر المسلمين، ويرعى أبناءهم.

□□□